هوامش

في كندا، استعادت عائلة أسامة جحا وديما الداهوك حياتها بعدما تركت الوطن السوري. على الرغم من أزمة كورونا التي تطاول الجميع، يتعايش الثنائي مع إعاقتَيهما وإعاقة أحد ولدَيهما ويمضيان إلى الأمام

تصميم وتحدّ دائمان (مصطفى عاصي)

أسامة وديما

حياة في كندا المتسامحة مع ذوي الإعاقة

تورونتو ـ **مصطفى عاصي**

تراجيديا التشريق والتغريب التي عاشاها في رحلة النجاة، لا تخوِّل قصتهما أن تكون استثنائية، إذ مثلهما كثيرون لفظتهم الحرب إلى خارج أسوار سورية، كما أنّ براعتهما في عالم الرياضة لا تضعهما في خانة اللامألوف، فرياضيون سوريون كثر نثرتهم التغريبة السورية في مجاهل الكوكب. لكن ما يجعل قصة عائلة أسامة جحا وديما الداهوك فوق ذلك كله، هو أنّ تلك العائلة تجمع تحت سقف واحد ثلاثة من الأشخاص ذوي الإعاقة: هو وهي وابنهما المصاب بمتلازمة داون.

ديما الداهوك هي بطلة سورية في «كرة الطاولة لذوي الحاجات الخاصة» على مدى عشر سنوات متتالية (2006 - 2015)، فيما أسامة جحا هو بطل سورية في رفع الأثقال.

كانت ديما في الثالثة من عمرها يوم تعرّضت إلى حادثة سير في قريتها الواقعة بمحافظة السويداء. إبرة الطبيب حينها أخطأت مكانها، فأصابتها بشلل نصفي. ومذ ذاك الوقت لازمتها الإعاقة ولازمها التصميم والتحدي في آن... تحدٍّ لعقلية كل من يشبهون مديرة المدرسة الابتدائية التي رفضت استقبالها بسبب ما هي عليه. في عام 2005، التقت ديما من سيصبح زوجها بعد سنوات. كانت هي تتدرب على رفع الأثقال وكان هو المدرب وصاحب النادي. أقنع المدرّب زوجته أن تتحوّل نحو كرة الطاولة، الرياضة التي أحبّتها وحصدت فيها ألقاباً محلية ودولية، أبرزها الميدالية البرونزية في بطولة دولية في الأردن (عمّان) في عام 2012 والميدالية الذهبية في بطولة وديّة في لبنان في عام 2008. يُذكر أنّ قلّة ألقابها الدولية مردها ربّما إلى قلّة اهتمام الاتحاد الرياضي السوري بلعبة كرة الطاولة وعدم إرسال بعثات رياضية إلى الخارج.

ثقيلة كانت وطأة الحرب على هذه العائلة. هي ثقيلة على الأصحاء، فما بالنا بثنائي يتنقّل على كرسيَّين متحركَين. وفي مطلع عام 2015، حزما ما تيسّر حمله في صرّة ملابس وودّعا مدينتهما دمشق وغادرا على كرسيّيهما برفقة طفلهما. قصدا تركيا التي لم تكن رحيمة بهما، فقرّرا البحث عن بلد أكثر مراعاة لحقوق الإنسان. هناك، عانيا كثيراً طيلة سنتَين، لدرجة أنّه حين انكسر كرسيَّاهما، ظلا ستة أشهر يتنقلان زحفاً على الأرض إلى أن قدّم لهما فاعل خير كرسيَّين بديلَين. وفي تركيا كذلك، لم يُسمح لهما بالاشتراك في أي بطولة رياضية، وحجّة السلطات التركية كانت أنّ العلاقات السياسية والرياضية مقطوعة بين تركيا وسورية وليس من إطار رسمي يخوّلهما المشاركة. وتستعيد ديما هذه الرواية في أكثر من مناسبة. بعدما ضاقت بهما الحال في تركيا، قيل لهما إنّ كندا أكثر رفقاً بالأشخاص ذوي الإعاقة، فعبرا المحيط الأطلسي ليلاحقا حلمهما هناك ويكملا مسيرة التفوق الرياضي وتأمين حياة كريمة لطفلَيهما ويختبرا ماهية الكرامة الإنسانية ومعناها. منذ وصولهما في عام 2017، أمّنت لهما الحكومة الكندية الدعم المالي وكلّ الحاجات المتعلقة بوضعهما. وبعد فترة قصيرة، بعثت ديما برسالة إلى رئيس اتحاد كرة الطاولة في كندا، وبعد أربعة أشهر سُمح لهما أن يشاركا في بطولة كندا لفئة ذوي الإعاقة، فأحرزا الميدالية الذهبية عن فئة الزوجي والميدالية الفضية عن فئة الفردي. وفي عام 2018، أعادا الكرّة فحصلا على الميدالية الفضية عن فئة الزوجي فيما أحرزت ديما الميدالية الفضية عن فئة الفردي. وفي عام 2019، شاركت ديما وحدها في بطولة مقاطعة أونتاريو، كبرى مقاطعات كندا لجهة المساحة والسكان، وحازت الميدالية الفضية. مراكز متقدّمة حققتها من دون تحضير أو تلقّي تدريب كافٍ، الأمر الذي لفت انتباه الكنديين وإعجابهم. لكنّ الاتحاد لم يتبنَّ ديما وأسامة رسمياً، ولم يوافق على تمثيلهما كندا في البطولات الخارجية لأنّهما لم يحصلا بعد على الجنسية الكندية.

المعونة المالية التي تقدّمها الحكومة الكندية ليست كافية لتأمين معيشة العائلة وتخصيص المال للمستلزمات الرياضية. هو نقص مؤقت في انتظار الحصول على الجنسية، عوّضته المنظمة السورية الكندية التي قامت بحملة تبرّعات جمعت من خلالها مبلغاً مكّن الثنائي من شراء حاجات أساسية والمشاركة في بطولات كندية. كلّ التمارين والتحضيرات تجرى في المنزل على يدي أسامة، مدرّب ديما الذي تعلّم كرة الطاولة كي يشارك زوجته اللعب ويُبقيها على لياقتها ومستواها. أمّا صالون منزلهما فهو النادي. كلّما أرادا التمرّن، ينصبان في وسطه الطاولة ويتباريان بحضور جمهورهما المفضّل... «ولديهما أو كلّ حياتهما». فارس ينحاز إلى أبيه وعبد الرحمن إلى أمه، فتكون تلك تسليتهم المفضّلة في وحشة الغربة.

يحصل ذلك في شقة في الطبقة الواحدة والأربعين من ناطحة سحاب تُشرف على مدينة هاملتون في مقاطعة أونتاريو. السكن في شقة ذات إطلالة ساحرة خيار موفق لعائلة أفرادها ليسوا من الأشخاص ذوي الإعاقة. بالتالي، فإنّ الشقة غير الملائمة لحالة الثنائي البدنية وعدم توفّر نادٍ رياضي خاص بذوي الإعاقة كانا عاملَين مرجّحَين دفعا بأسامة وديما إلى حزم حقائبهما وحقائب ولدَيهما مرّة جديدة والانتقال قبل أشهر إلى مدينة كالغري في مقاطعة ألبرتا القريبة من البراري الكندية شديدة البرودة. هناك استأجرا منزلاً من طبقة واحدة يسهل تحرّكهما فيه.

في آخر إنجازات الثنائي المهاجر، يعمد أسامة وديما في مرحلة أولى إلى إعطاء دروس لياقة بدنية افتراضية للمهاجرين الجدد من الأشخاص ذوي الإعاقة الذين تخطّت أعمارهم 18 عاماً. وهذا المشروع موّلته الحكومة الكندية والصليب الأحمر الكندي من ضمن خطة عمل تهدف إلى التخفيف من آثار أزمة كورونا، في حين أدارته المنظمة السورية الكندية التي تدعم المهاجرين واللاجئين من خلال مشاريع كثيرة مثل دورات في اللغة الإنكليزية والدعم النفسي للنساء والنشاطات الفنية للأطفال والشباب.

«بيت الرياضة» هذه هي التسمية التي اختارها أسامة وديما لمشروعهما، وقد استوحياه من اسم النادي الرياضي الذي كان يملكه أسامة في سورية. تقديم مساعدة للأشخاص ذوي الإعاقة حلم كان يراود هذا المدرّب قبل المجيء إلى كندا. وجاءت الجائحة لتطاول المعاناة الجميع، فترهلت الأجساد وضمرت العضلات وساءت صحة الناس النفسية. الوقع كان أشدّ على ذوي الإعاقة، الأمر الذي راكم أوجاعاً فوق أوجاع. فتنبّهت المنظمة السورية الكندية للخطر، وخرجت بفكرة دعم المعوّقين حركياً في منازلهم، طالبة الدعم من الحكومة والصليب الأحمر فحصلت عليه.

وقد اختارت المنظمة أسامة وديما ليقدّما المشروع على خلفية خبرتهما ومعرفتهما بأحوال وظروف وحاجات الأشخاص ذوي الإعاقة. فهما، المدرّب ومساعدته، يعيشان مع الإعاقة ويعرفان مكامن الضعف والقوة في أجساد هذه الفئة المهمّشة في كلّ المجتمعات. ويؤكد أسامة في هذا الإطار أنّ تمارين اللياقة البدنية مهمة لحياة ذوي الإعاقة وصحتهم، فمكوثهم الدائم في المنزل على الكراسي المتحركة يؤدّي بهم إلى السمنة واعوجاج في العظام، تحديداً في العمود الفقري، بالإضافة إلى الضمور العضلي الكبير.

باختصار

تحت سقف واحد يجتمع ثلاثة من الأشخاص ذوي الإعاقة... أسامة وديما وابنهما المصاب بمتلازمة داون

■■■

ثقيلة كانت وطأة الحرب على هذه العائلة. هي ثقيلة على الأصحاء، فما بالنا بثنائي يتنقّل على كرسيَّين متحركَين

■■■

من خلال «بيت الرياضة» يقدّم أسامة وديما دروس لياقة بدنية افتراضية للمهاجرين الجدد ذوي الإعاقة الذين تخطّت أعمارهم 18 عاماً

وأخيراً

لقاء وحيد مع مريد ورضوى

رشا عمران

ذات يوم في الشهر الخامس من عام 2012، حين كان ميدان التحرير في القاهرة مركز جذبٍ للمؤمنين بالربيع العربي، وبحركة التغيير السياسي والاجتماعي التي كانت بداياتها مبشّرة، قبل تحولاتها المخيفة، كنتُ مع أصدقاء مصريين، نمشي بين الجموع الهائلة في شارع طلعت حرب، محاولين الوصول إلى الميدان، حيث التجمع الأكبر للمصريين الرافضين قرارات المجلس العسكري. كانت مصر يومها قد بدأت تستقبل العدد الأكبر من السوريين الهاربين من الحرب والملاحقة والاعتقال، مصر بثورتها وبما تمثله للعرب كانت نقطة الجذب للسوريين، خصوصا أنها، حتى ذلك الوقت، كانت تتيح للسوري الدخول إليها من دون تأشيرة، وهذا سهّل للسوريين حتى الحركة (الثورية) في أرض الكنانة، حيث نُصبت خيمة في قلب الميدان، قرب مقر جامعة الدول العربية، مخصّصة للثورة السورية، يجتمع فيها السوريون الثائرون، قبل أن تتحوّل إلى مقر لأصحاب الثورة المضادّة المطالبين بالتسليح وأسلمة الثورة، ورافعي الشعارات الطائفية، والأعلام السوداء التي غطّت خيمة «الثورة السورية» في ميدان التحرير.

في ذلك اليوم، ونحن نحاول الوصول إلى الميدان، كان هناك رجل ستيني يمسك بيد سيدة جميلة بحبّ واضح، يحاولان مثلنا الوصول إلى الميدان. لم أكن لأعرفهما، لولا أن أحد الأصدقاء قال مازحا: «أهو رضوى ومريد، يلا نمشي معاهم ونعمل مظاهرة شعرية روائية». كان الرجل الذي لم أقابله من قبل الشاعر الفلسطيني، مريد البرغوثي، يمسك بيد زوجته الروائية المصرية رضوى عاشور. شعرت بفرح وفخر شديد، حين عرّفهما أصدقائي علي، وحين قال لي مريد: «أهلا رشا، قرأت مقالك الجميل، استحقاق الكرامة، في «القدس العربي»، ومتأكد لو كان محمد عمران ما زال على قيد الحياة، لكان فخورا بموقفك». أتذكّر أنني استأذنت الراحلة الكبيرة، رضوى، أن أعانق الأستاذ مريد، فضحكت وقالت «وأنا أيضا أريد أن أعانقك وأعانق الأستاذ مريد». ومضينا معا باتجاه الميدان، ونحن نتحدّث بحماس عن الثورة السورية، وعن التغيير المرتقب، وعن المستقبل الجميل القادم إلى بلادنا. كان حماسهما نادرا واستثنائيا وطافحا، يشبه الحب الذي بينهما، والذي لا يمكن ألا يلاحظه أحد. كان مريد يمسك بذراع رضوى بحب ورعاية، قلما رأيتهما من شاعر عربي تجاه زوجته. أنا التي عرفت معظم شعراء الوطن العربي منذ طفولتي. لم تكن رضوى أيضا زوجة عادية، هي المحمّلة بتاريخ ثقافي ونقدي وسياسي نضالي، سيبقى علامةً في تاريخ الأدب والثقافة العربية على مدى الزمن. بعد أن عبرنا الميدان، ذهبنا باتجاه خيمة السوريين، بناء على طلب مريد ورضوى. وكانت صدمتنا الكبيرة، حين دخلنا ورأينا الخيمة مغطّاة بعلم كبير لحزب التحرير، الجهادي الأصولي، وبشعاراتٍ طائفيةٍ. لم نحتمل الوضع، خصوصا بعد أن حصل احتدامٌ بالنقاش مع أحد المشرفين على الخيمة، وهو سوري بالطبع. هدّدنا باستخدام السلاح، خرجنا. وكان مريد ورضوى يحاولان تهدئتي وطمأنتي بالقول إن هذا دأب الإسلام السياسي على اختطاف أي حراكٍ شعبي لصالحه، لكنها ظاهرة ستنتهي أمام الإرادة الشعبية الكبيرة.

رحلت رضوى عاشور بعد عامين ونيف من ذلك اللقاء الوحيد. هزمها مرض السرطان الذي عانت منه طويلا، وربما أيضا هزمها مآل الربيع العربي الذي اتّضحت معالمه في 2014، سواء في مصر أو باقي الدول التي شهدت محاولاتٍ جدّية وكثيفة للتغيير السياسي والإجتماعي، حيث لم تنفع الإرادة الشعبية في عملية التغيير، إذ اتضح أن التركيبة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية العسكرية في بلادنا أكثر تعقيدا وتجذّرا من أن تغيّرها إرادة شعبية على شكل ثوراتٍ سريعة، وأن تفكيكها يحتاج إلى زمن طويل جدا، وأجيال جديدة متعاقبة، متخفّفة من إرث الاستبدادين العسكري والديني الذي ابتليت به بلاد العرب.

> رفض مريد البرغوثي التطبيع ليس فقط مع العدو الإسرائيلي، بل أيضاً مع أنظمة الاستبداد والإجرام العربية

بعد رحيل رضوى عاشور، بقيتُ على تواصلٍ مع مريد البرغوثي على صفحة فيسبوك فقط. أتابع ما يكتبه على صفحته، مواقفه السياسية والأخلاقية الحاسمة الرافضة دائما كل أنواع الاستبداد، كلمة الحق التي ينطق بها من دون تردّد، رفضه التطبيع ليس فقط مع العدو الإسرائيلي، بل أيضا مع أنظمة الاستبداد والإجرام العربية، سيما النظام السوري، قصائده الجديدة التي اقتربت من الشعر الصافي ولا تشبه سواه، ولا تذكّر بغيره، حبه العالي والدائم زوجته الراحلة، هذا العشق النادر والذي لم يخفّف رحيلها من نبله وتوهّجه. هل كان من المصادفة أن يلتحق مريد برضوى يوم 14 فبراير، الذي يصادف يوم عيد الحب؟!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**